



JIS

Journal Of Islamic Studies
Kabul University
e-ISSN:3078-6355

مكانة القدوري في التراث الحنفي: دراسة تاريخية تحليلية

<https://doi.org/10.62810/jis.v2i4.333>

الباحث:

الشيخ أصحاب الدين حليمي، أستاذ بقسم الثقافة الإسلامية جامعة كاردان،
وطالب بمرحلة الدكتوراه جامعة الأفغان الإسلامية العالمية - أفغانستان.

البريد الإلكتروني: ashabudinhalmi2020@gmail.com

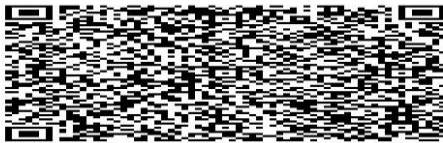
تاريخ المادة:

تاريخ الإرسال: (٢٠ شوال ١٤٤٧)

تاريخ الإصدار: (٢٨ شوال ١٤٤٧)

تاريخ القبول: (١٥ ذو القعدة ١٤٤٧)

تاريخ النشر: (٢٨ ذو الحجة ١٤٤٧)



الملخص: تتقصى هذه الدراسة الاستقصائية المكانة العلمية والرمزية للإمام القدوري ضمن سياق نقل التراث الحنفي وبنيت الاجتماعية في بغداد، منطلقاً من فرضية مركزية مفادها أن ريادة العالم في تاريخ المذاهب الفقهية نتاج تظافر عوامل سببية ومنهجية وسياقية متداخلة تتجاوز النتاج التأليفي المجرد. وتكمن أهمية البحث في تقديم قراءة نقدية معاصرة تتبنى منهج "السوسيولوجيا الفقهية" لسد الفجوة التاريخية المتعلقة بالحقبة البغدادية، وتأسيس النقد الوثائقي في كتب التراجم والطبقات لتمييز الحقائق الوثائقية عن السرد التمجيدي والمبالغات الإنشائية الثنائية. كما تهدف الدراسة أساساً إلى تفكيك بنية الريادة لدى القدوري، ورصد آليات "الترسيم العلمي" التي حولته إلى رمز مؤسسي عبر ممارسة القضاء والفتوى والارتباط الوثيق بالمؤسسات الوقفية والتعليمية والبيوتات العلمية الكبرى في عاصمة الخلافة آنذاك. وبعتماد المنهج التاريخي النقدي للمقارنة بين قرائن النقل الفعلي والشهادات التاريخية المعاصرة واللاحقة، خلصت نتائج الدراسة إلى أن قيمة الإمام القدوري ومكانته العلمية لم تكن وليدة إنتاجه الكتابي وحده، بل هي محصلة منظومة متكاملة من الممارسات العلمية والاجتماعية والسياقية التي منحت مرجعيته الرمزية ثقلاً مؤسسياً مضاعفاً وأثراً مستداماً. وتوصي الدراسة في خاتمتها بضرورة إخضاع مواد التراجم لتحقيق نقدي صارم، واستكمال الدراسات المقارنة لرموز المذاهب المعاصرين؛ للكشف عن آليات تشكيل الهياكل الفقهية والاجتماعية الراسخة في التراث الإسلامي وتطويرها عبر العصور.

الكلمات المفتاحية: الإمام القدوري، المدرسة الحنفية ببغداد، التاريخ

الاجتماعي للفقه، الطبقات، الرئاسة المذهبية.

Al-Quduri's place in the Hanafi tradition: A historical and analytical study

ABSTRACT: This survey investigates the scholarly and symbolic status of Imam al-Quduri within the context of the transmission of Hanafi heritage and its social structure in Baghdad. It begins with the central premise that the scholar's leading role in the history of legal schools is the product of a confluence of intertwined biographical, methodological, and contextual factors that transcend mere authorship. The research's significance lies in offering a contemporary critical reading that adopts the methodology of "legal sociology" to bridge the historical gap concerning the Baghdad era. It also aims to establish documentary criticism within biographical and historical works to distinguish factual accounts from laudatory narratives and exaggerated, binary embellishments. Furthermore, the study primarily seeks to deconstruct the structure of al-Quduri's leadership and identify the mechanisms of "scholarly consecration" that transformed him into an institutional symbol through his practice of jurisprudence, issuing legal opinions, and his close ties to endowment institutions, educational establishments, and prominent scholarly circles in the capital of the Caliphate at that time. By adopting a critical historical approach to comparing the evidence of actual transmission with contemporary and later historical testimonies, the study concluded that Imam al-Quduri's value and scholarly standing were not solely a product of his written output, but rather the result of an integrated system of scholarly, social, and contextual practices that granted his symbolic authority a multiplied institutional weight and lasting impact. In its conclusion, the study recommends subjecting biographical materials to rigorous critical analysis and completing comparative studies of contemporary figures of various schools of thought in order to uncover the mechanisms by which the established legal and social structures within Islamic heritage were formed and developed throughout the ages.

Keywords: Imam al-Quduri, Hanafi School of Baghdad, Social History of Jurisprudence, Classes, School of Thought Leadership.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله واصحابه والتابعين لهم باحسان إلى يوم الدين، أما بعد. يُعَدُّ الإمامُ أبو الحسين أحمد القدوري (ت ٤٢٨هـ) أحدَ الأعلام البارزين في تاريخ الفقه الحنفي، وقد ارتبط اسمه بمرحلةٍ مفصليةٍ من تطوُّر المذهب في بيئةٍ علميةٍ مركزيةٍ تمثَّلت في مدينة بغداد خلال أواخر القرن الرابع و أوائل القرن الخامس الهجريين. وعلى الرغم من شهرة مختصره الفقهي ومكانته التعليمية في المدونات الحنفية، فإنَّ دراسة مكانته في التراث الحنفي ما تزال بحاجةٍ إلى معالجةٍ تحليليةٍ شاملةٍ تتجاوز العرض الترجمي إلى تفكيك الأبعاد العلمية والاجتماعية التي أسهمت في ترسيخ حضوره داخل البنية المذهبية.

مشكلة الدراسة:

وتكمن الإشكالية المركزية في التساؤل الآتي: هل كانت مكانة القدوري نتيجة تميّزٍ علميٍّ ذاتيٍّ فحسب، أم أنّها تشكَّلت عبر تفاعلٍ مرَّكَّبٍ بين إنتاجه المعرفي، وشبكاته التعليمية، والسياق الاجتماعي والسياسي لبغداد في القرن الخامس الهجري؟ ومن ثمَّ يبرز التحدي في التفريق بين ما هو نتاجٌ لفاعليته العلمية المباشرة، وما هو ثمرةٌ تطوُّرٍ مؤسَّسيٍّ لاحقٍ أسهم في تضخيم رمزيته داخل الذاكرة الحنفية. وعليه، يسعى البحث إلى سدِّ هذه الفجوة من خلال قراءةٍ نقديةٍ للمصادر، تكشف عن طبيعة المكانة التي حازها القدوري وحدودها التاريخية، وتعيد تقويمها ضمن إطارٍ يوازن بين البعد المعرفي والبعد الاجتماعي في تشكُّل السلطة العلمية داخل التراث الحنفي.

كيف تشكَّلت مكانة الإمام أبي الحسين أحمد القدوري في التراث الحنفي خلال القرن الخامس الهجري؟ ما تأثير السياق الاجتماعي والسياسي لمدينة بغداد في ترسيخ مكانة القدوري العلمية؟ ما طبيعة العلاقة بين إنتاجه الفقهي والبنية التعليمية والتنظيمية للمذهب الحنفي في عصره؟ كيف يمكن تقييم دقة الصورة التي نقلتها كتب التراجم والطبقات عن القدوري وحدود تأثيره التاريخي؟

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذا البحث في كونه يسعى إلى إعادة قراءة شخصيةٍ محوريةٍ في المذهب الحنفي ضمن إطارٍ تاريخيٍّ تحليليٍّ يربط بين النص والسياق، ويستثمر أدوات الدراسات التاريخية والنقد النصي وتحليل الشبكات العلمية. كما يهدف إلى سدِّ فجوةٍ في الدراسات المعاصرة التي غالبًا ما اكتفت بإبراز قيمة المختصرات دون تحليل آليات تشكُّل السلطة العلمية داخل المدارس الفقهية.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل مكانة الإمام أبو الحسين أحمد القدوري داخل التراث المذهب الحنفي خلال القرن الخامس الهجري، عبر مقارنة شمولية تجمع بين البُعد المعرفي والاجتماعي والمؤسسي. وتسعى الدراسة إلى توثيق تكوينه العلمي من خلال تتبع نشأته العلمية وشيوخه وتلاميذه، وتحليل منهجه التألّفي والتعليمي، إضافة إلى دراسة شبكة علاقاته داخل الحلقات العلمية

ومؤسسات الوقف والتعليم وتأثيرها في بناء سلطته العلمية. كما تهدف إلى تقييم أثر السياق السياسي والاجتماعي لمدينة بغداد في ترسيخ حضوره العلمي، وفحص العلاقة بين إنتاجه الفقهي وتطور البنية التعليمية والتنظيمية للمذهب الحنفي، مع تقويم مصداقية صورته في كتب التراجم والطبقات عبر مقارنة القرائن الوثائقية بالسرد التمجيدي، وقياس امتداد أثره في الأجيال اللاحقة ضمن آليات تشكّل السلطة العلمية في المدارس الفقهية. ومن خلال هذا الإطار، يسعى البحث إلى تقديم قراءة نقدية متوازنة تربط بين النص والسياق، وتكشف الآليات الحقيقية لترسيخ المرجعية داخل التراث الحنفي، بما يُسهم في إثراء الدراسات التاريخية للمذاهب الفقهية ضمن أطر منهجية معاصرة.

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي والتحليلي، مع المنهج المكتبي في جمع المصادر الفقهية والتاريخية و يتبنّى هذا البحث منهجاً تاريخياً-تحليلياً مقارنةً يجمع بين النقد النصّي وتحليل الشبكات العلمية والسوسيولوجي للعلماء، مع مراعاة السياق الاجتماعي والسياسي لبغداد في القرنين الرابع والخامس الهجريين. يعتمد منهجاً مختلطاً (نوعي-كمي)، حيث يُعالج النص تاريخياً ونقدياً، ويُستخدّم تحليل الشبكات وقياس الاقتباسات لتقدير امتداد التأثير، مما يتيح فهمًا شاملاً لمكانة القدوري وآليات بناء سلطته العلمية ضمن التراث الحنفي.

تستند الدراسة إلى مصادر أولية تشمل تراجم وطبقات (الخطيب، ابن السمعاني، ابن خلكان)، نصوص القدوري (المختصر، التجريد)، مخطوطات وشروحات لاحقة، ووثائق وقف، ومصادر ثانوية من دراسات حديثة ومقالات تحليلية وكتب طبقات معاصرة.

ويشمل التحليل جمع المواد وبناء قاعدة بيانات توثق المصدر، نوع الشهادة، درجة الاعتماد، وشبكات الشيوخ والتلاميذ، إضافة إلى النقد النصّي ومقارنة الشواهد، وتحليل مضمون منهجي للتأليف والتدريس، وتحليل الشبكات العلمية لتمثيل الروابط والتأثيرات، مع مراعاة انتقائية المصادر، التثبت والتقاطع بين الشواهد، وحدود التحليل الناتجة عن التحيزات المذهبية.

خطة الدراسة:

لقد تم تقسيم خطة البحث لتشمل محاور أربعة؛ تبدأ ببحث التكوين المعرفي والشخصية العلمية للقدوري، ثم تنتقل لتحليل إنتاجه الفقهي وآليات بناء السلطة، تليها دراسة مكانته الاجتماعية والمؤسسية، وصولاً إلى نقد سيرورة الترسيم المذهبي في الذاكرة الحنفية. وتخلص المقدمة إلى أن فهم مكانة القدوري يقتضي مقارنة شمولية تدمج بين التحليل المعرفي والسوسيولوجي، بما يتيح قراءة أعمق لمسارات تشكّل المرجعية داخل التراث الإسلامي.

المبحث الأول: نبذة مختصرة عن الإمام القُدوري رحمه الله و العصر الذي عاش فيه:

المطلب الأول: نبذة مختصرة عن الإمام القُدوري رحمه الله و نشأته:

الفرع الأول: التعريف المختصرة عن الإمام القُدوري رحمه الله:

هو أبو الحسين أحمد بن أبي بكر محمد بن أحمد بن جعفر بن حمدان الفقيه البغدادي الحنفي المعروف بالقُدوري، المولود سنة ٣٦٢هـ والمتوفى سنة ٤٢٨هـ هجرية، فقد نسب هذا الإمام المقدم في المذهب الحنفي إلى صناعة القُدور^١.

وذلك بمقتضى طبيعة عصرهم وسمته حيث ينبغي أن يكون للمرء مصدر رزق حلال ولو كان كفافاً، ولا ضير أن يكون ذلك العمل بسيطاً ومتعباً كصناعة القُدور وبيعها، فعلى الرغم من صعوبة هذه الصنعة فقد وفق الإمام القُدوري بصورة مدهشة بين عمله الصعب والمضني وبين دراسته للفقهِ وطلبه للعلم وتدرّيس تلاميذه فيما بعد وتخصيص جزء من وقته للتصنيف والتأليف حتى خرج علينا هذا الإمام بأسفار عظيمة منها متن متين من متون المذهب الحنفي طارت بها الركبان، لا بل لمتانتها اعتبر مشايخ أهل هذا العصر أن من لم يقرأ متن القُدوري فقد فاتته من الفقهِ الحنفي الشيء الكثير^٢.

الفرع الثاني أولاً: تكوينه:

كون في بيت علم وفقهِ حيث كان أبوه عالماً ومحدثاً، فحفظ القرآن الكريم وكان مُديماً لتلاوته، وتعلم العلوم الشرعية المختلفة، واجتهد وفاق أقرانه حتى انتهت إليه رئاسة الحنفية بالعراق، وبغداد التي كانت العاصمة العلمية للخلافة العباسية وقتها. وعظم عندهم قدره، وارتفع جاهه. وكان حسن العبارة في النظر، طلق اللسان، مُديماً لتلاوة القرآن^٣.

١ محمد عبد الحي اللكنوي، الفوائد البهية في تراجم الحنفية (مصر: مطبعة السعادة، ١٣٢٤هـ)، ص: ٥٧.

٢ أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧)، ٤: ١٢-١٤.

٣ اللكنوي، الفوائد البهية، ص: ٣٠-٣١.

المطلب الثاني: نبذة عن العصر الذي عاش فيه الإمام القُدوري رحمه الله:

عاش الإمام أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد القُدوري البغدادي الحنفي (٣٦٢-٤٢٨هـ/٩٧٢-١٠٣٧م) في القرن الرابع والخامس الهجريين، و هما من أخصب العصور في تاريخ الفكر الإسلامي، حيث شهد العالم الإسلامي آنذاك ازدهاراً علمياً واسعاً رغم ما اعترى الدولة العباسية من ضعف سياسي نسبي^١.

الفرع الأول: الحياة العلمية و الفكرية:

كانت بغداد في القرن الرابع الهجري مركزاً رئيساً للحياة العلمية في العالم الإسلامي، وقد توافد إليها العلماء من شتى الأمصار. وظهرت فيها مدارس فقهية متعدّدة، من أبرزها المدرسة الحنفية والشافعية والحنبلية. وفي هذا الجوّ العلمي الزاخر نشأ الإمام القُدوري، وتلقّى العلم عن كبار فقهاء الحنفية مثل أبي عبد الله الصيمري (ت ٤٣٦هـ) وأبي بكر الأودني وغيرهما^٢. وقد برز في الفقه والأصول والمناظرة، واشتهر بتدريسه وإفتائه في بغداد، حتى صار شيخ الحنفية في عصره^٣.

كما شهد هذا العصر ازدهاراً في علوم المناظرة والجدل، فكانت المجالس العلمية تعقد في المساجد والمدارس لمناقشة المسائل الفقهية والأصولية بين علماء المذاهب المختلفة، وهو ما انعكس على أسلوب القُدوري في مؤلفاته، وخصوصاً في كتابه التجريد، الذي جمع فيه بين التحقيق الفقهي والمقارنة المذهبية بأسلوب جدلي رصين^٤.

الفرع الثاني: الحياة الاجتماعية والثقافية:

اتسمت الحياة الاجتماعية في بغداد آنذاك بالحراك الثقافي والتنوّع المذهبي؛ فقد اجتمع فيها أتباع المذاهب الأربعة، بالإضافة إلى المعتزلة والشيعة وأهل الحديث، مما أوجد بيئة خصبة للمناظرات والمباحثات العلمية^٥. كما كان للرخاء الاقتصادي الذي عرفته بغداد في تلك الفترة أثرٌ بالغ في دعم الحركة العلمية، حيث كانت حلقات الدرس تعقد في الجوامع الكبرى كجامع المنصور وجامع الرصافة، وتُوقَف الأوقاف للمدارس والعلماء^٦.

١ شمس الدين ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس (بيروت: دار صادر، ١٩٧٨)، ١: ٧٤.

٢ أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ٤: ٣٥٦.

٣ أبو الفرج محمد بن إسحاق النديم، الفهرست، تحقيق أيمن فؤاد سيد (لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ٢٠١٤)، ٢٥٩.

٤ مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)، ١: ٤٤٩.

٥ علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ)، ٥: ٢٢١.

٦ عماد الدين ابن كثير، البداية والنهاية (الكويت: دار الفكر، ١٩٨٦)، ١٢: ٤٥.

الفرع الثالث: أثر هذا العصر في تكوين الإمام القدوري:

انعكست تلك البيئة العلمية والسياسية والثقافية على شخصية الإمام القدوري، فتميّز بالتحقيق والدقة في استنباط الأحكام، وبالانفتاح على مذاهب الفقه الأخرى. وكان ذا ميلٍ إلى الجدل الهادئ والمناظرة العلمية القائمة على البرهان والدليل. وقد أسهم في ترسيخ أصول المذهب الحنفي وصياغة قواعده بطريقة منهجية، حتى صار يُعدّ من كبار أئمة المذهب في القرن الخامس الهجري^١.

الفرع الرابع: الأوضاع السياسية:

في تلك الفترة كانت الخلافة العباسية قد ضعفت هيبتها السياسية منذ منتصف القرن الرابع الهجري، إذ استولى البويهيون هم: عضد الدولة فناخسرو بن الحسن بن بُويه على مقاليد الحكم في بغداد سنة (٣٣٤هـ)، وأصبح الخلفاء العباسيون رموزاً دينية أكثر منهم قادة سياسيين^٢.

ورغم ذلك فإنّ بغداد احتفظت بمكانتها العلمية والحضارية، وبقيت قبلة العلماء وطلاب الفقه والحديث. وكان البويهيون على مذهب التشيع، غير أنهم عاملوا أهل السنّة وعلماءهم. ومنهم فقهاء الحنفية. بالتسامح النسبي، مما أتاح استمرار النشاط العلمي في المدارس والمساجد. وعاش الإمام القدوري في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري والنصف الأول من القرن الخامس. وفي تلك الفترة كانت الخلافة العباسية هي القائمة، وعاصمتها مدينة بغداد^٣.

الفرع الخامس: انقسام الخلافة العباسية إلى عصرين:

ويقسم كثير من المؤرخين فترة حكم الخلافة العباسية إلى عصرين متباينين:

أ - العصر العباسي الأول (١٣٢ هـ - ٢٣٢ هـ): وتميز هذا العصر بقوة الخلفاء وسيطرتهم على مقاليد الحكم وجميع شئون الدولة، فظلت الدولة الإسلامية - كسابق عهدها - محكومة بالقوة المركزية المتمثلة في شخص (الخليفة) ويبدأ هذا العصر بالخليفة السفاح أبي العباس عبد الله بن محمد، وتنتهي بالخليفة الواثق أبي جعفر هارون ابن المعتصم^٤.

١ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١: ٧٤.

٢ عز الدين ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٧)، ٨: ٣٥٨.

٣ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٢)، ١٧: ٤٥١.

٤ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٧: ٤٦٤.

ب - العصر العباسي الثاني (٢٣٢ - ٦٥٦هـ): وتميز هذا العصر بالضعف، وتدخل أفراد بيت الخليفة في شئون الحكم خاصة الأمهات والزوجات، و اتصف معظم خلفاء هذا العصر بعدم القدرة على السيطرة على مقاليد الأمور، أضف إلى ذلك سيطرة الجنود الأقوياء على الخلافة وشئون الدولة بداية من البويهيين انتهاءً بالسلاجقة. كل ذلك أدى إلى ضعف سلطة الخليفة في بغداد في أغلب الأحيان، بل وصل الأمر إلى عزله عن الحكم أو سمل عينيه أو قتله. ويبدأ هذا العصر بالخليفة المتوكل أبي الفضل جعفر بن المعتصم، وينتهي بمقتل الخليفة المستعصم أبي أحمد عبد الله بن المستنصر بالله على يد التتار^١. فإذا جئنا إلى القُدوري؛ فنسجد أنه عاش في العصر العباسي الثاني، حيث ضعف الخليفة عن السيطرة على الحكم، وسيطرة البويهيين الشيعة على مقاليد الأمور بصفتهم في منصب (أمير الأمراء) وقد ولد القُدوري أيام الخليفة المطيع لله أبي القاسم الفضل بن المقتدر (حكمه ٣٣٤-٣٦٣هـ). وعاصر القُدوري ثلاثة خلفاء هم: الطائع لله أبي الفضل عبد الكريم بن المطيع (حكمه ٣٦٣ - ٣٨١هـ)، ثم القادر بالله أبي العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر (حكمه ٣٨١ - ٤٢٢هـ)، ثم القائم بأمر الله أبي جعفر عبد الله بن القادر (حكمه ٤٢٢ - ٤٦٧هـ) وعاصر أيضًا سبعة من أمراء البويهيين هم: عضد الدولة فناخسرو بن الحسن بن بُويه (حكمه ٣٣٨ - ٣٧٢هـ)، ثم شرف الدولة أبو الفوارس بن فناخسرو (حكمه ٣٧٢ - ٣٧٩هـ)، ثم صمصام الدولة أبو كاليجار المرزيان بن فناخسرو (حكمه ٣٧٩ - ٣٨٨هـ)، ثم بهاء الدولة أبو نصر فيروز بن فناخسرو (حكمه ٣٨٨ - ٤٠٣هـ)، ثم سلطان الدولة أبو شجاع بن فيروز (حكمه ٤٠٣ - ٤١٢هـ)، ثم مُشرف الدولة أبو علي ابن فيروز (حكمه ٤١٢ - ٤١٦هـ)، ثم جلال الدولة (حكمه ٤١٦ - ٤٣٥هـ).

وبالنسبة للخلفاء، فقد كان الطائع كريمًا ذا هبة، لكنه عاش طوال خلافته معتقلًا فقيرًا ذليلاً بسبب البويهيين إلى أن توفي سنة (٣٩٣هـ). وأما القادر: فقد كان زاهدًا عابداً ولا يدخر شيئاً، يصحب العلماء مكرماً للحديث وأهله، ملأ الدنيا بالعدل والأمان وأما القائم: فقد كان أمرًا بالمعروف ناهياً عن المنكر، أحسن إلى الرعية وجلس للناس بنفسه، وجعل العلماء يرفعون إليه قصص الناس وبالنسبة للبويهيين: فقد كان عضد الدولة محبا للعلم مقرباً لأهله، فشجع العلم والأدب، وكان حسن السياسة، إلا أنه كان سفاكاً للدماء معروفاً بالغدر وأما صمصام الدولة، فلم يدم طويلاً؛ لأن أخاه شرف الدولة قام عليه وعزله وبعد شرف الدولة تولى أخوه بهاء الدولة، الذي قام بخلع الخليفة الطائع وتولية القادر، وقد كان بهاء الدولة ظالماً غشوماً سفاكاً للدماء، مع جمعه للمال بما لم يجمعه أحد سواه من البويهيين، ولم يكن من البويهيين أقبح سيرة منه و أما سلطان الدولة فلم يدم طويلاً أيضاً؛ لأن أخاه مشرف الدولة نازعه وأخرجه من بغداد بعد حروب دامية ومصالحات و جاء بعد مشرف الدولة أخوه جلال الدولة الذي عرف بسوء التدبير والضعف، ومنذ عهده صار منصب أمير الأمراء منصباً تشريفياً، وبدأ نفوذ البويهيين في الزوال، إلى أن قضى عليهم السلاجقة الأتراك السنيون،

١ شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات (القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٦)، ١٥-٢٢.

وذلك عندما دخل طغرل بك السلجوقي مدينة بغداد. كما تناول حسين مؤنس التطور السياسي والفكري للعصر العباسي، مشيرًا إلى ملامح النضج الحضاري والتحديات السياسية التي أثرت في الحياة العلمية^١.

وكانت العلاقة بين الخلفاء العباسيين والبويهيين علاقة العدا، لكون الأولين سنة والآخرين شيعةً زيدية معتزلة وقد عمل البويهيون على زيادة النفوذ الشيعي في بلاد الإسلام، وساندوا معتقداتهم، فلعنوا الخلفاء الراشدين على المنابر، وأقاموا المآتم في عاشوراء وقد أدى ذلك إلى كثير من المصادمات الدامية بين السنة و الشيعة. ولكن كل ذلك لم يؤثر على الحالة العلمية في البلاد، بسبب تشجيع الخلفاء والأمراء ووجهاء المجتمع الأدباء والعلماء في كافة العلوم الإسلامية (شرعية وغير شرعية) وبالنسبة لحالة الفقه في هذه الحقبة التاريخية: فقد وصل الفقه - كما يقول محمد ابن الحسن الحجوي الثعالبي الفاسي - إلى طور الشيخوخة، وتفشت ظاهرة التقليد بين الفقهاء، بل أصبح التقليد هو القاعدة، وصار الاجتهاد نادرة من نواذر الدهر قسّم محمد بن الحسن الحجوي تاريخ الفقه الإسلامي إلى أربعة أطوار: طور الطفولة (من البعثة إلى وفاة النبي ﷺ)، و طور الشباب أو الاجتهاد (من عصر الخلفاء الراشدين إلى نهاية القرن الثاني الهجري)، و طور الكهولة (من بداية القرن الثالث إلى نهاية الرابع)، و طور الشيخوخة (من بداية القرن الخامس إلى العصر الحديث)^٢.

وذلك أن الفقه وصل إلى منتهى قوته في القرون الأربعة السابقة، تم نضجه حتى احترق وذهبت عينه، ولم يبق منه إلا مرقه في القرن الخامس وما بعده، إلى أن صار أثرًا بعد عين، وذلك لقصور الهمم عن الاجتهاد إلى الافتصار على الترجيح في الأقوال المذهبية والاختيار منها. يقول الفقيه المالكي سعيد بن الحداد (ت ٣٣٠) - عائبًا على أهل: (إن الذي أدخل كثيرًا من الناس في التقليد نقص العقول ودناءة الهمم) وفي هذه الفترة وما بعدها اقتصر الفقهاء على النقل عن تقدمهم، وانصرفت همتهم إلى شرح كتب المتقدمين وتفهمها ثم اختصارها ثم شرح هذه المختصرات والتحشية على هذه الشروح والتقرير عليها^٣.

المطلب الثالث: أهم الحوادث التاريخية التي عاصرها القُدوري ما يلي:

تأسيس الدولة الزيرية (بني زيري) مكان الفاطمية في المغرب الأوسط (تونس) سنة (٣٦٢هـ) والحرب بين الفاطميين والقرامطة سنة (٣٦٣هـ) و البويهيون يعزلون الخليفة العباسي المطيع لله سنة (٣٦٣هـ) والبيزنطيون يزحفون على العراق و فلسطين سنة (٣٦٤هـ)

١ حسين مؤنس، تاريخ الجغرافيا وجغرافية التاريخ (مدريد: المعهد المصري للدراسات الإسلامية، ١٩٨٠)، ١٢٠-٢٥.

٢ محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي (الرباط: إدارة المعارف، ١٣٩٦هـ).

٣ محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي (الرباط: إدارة المعارف، ١٣٩٦هـ).

ودخول أهالي النوبة شمال السودان الإسلام سنة (٣٦٥هـ) وطرد المسلمين من سويسرا وجبال الألب وفرنسا وساحل بروفانس سنة (٣٦٥هـ) و العزيز بالله يتولى الخلافة الفاطمية سنة (٣٦٥هـ) وسبكتكين أبو منصور الغزنوي مؤسس دولة الغزنويين يوالي انتصاراته في الهند سنة (٣٦٦هـ) وشرق إفريقيا (الحبشة وأريتريا) يفتحها المسلمون، ويدخل أهلها في الدين الحنيف سنة (٣٧٠هـ) والمنصور ينتصر على الإسبان في موقعة سيمانكس سنة (٣٧١هـ) و وفاة عضد الدولة وكنم وفاته سنة (٣٧٢هـ) وظهور رسائل إخوان الصفا سنة (٣٧٣هـ) وعقد اتفاق للتصالح بين الفاطميين والبيزنطيين سنة (٣٧٧هـ) وتجديد البيعة بين الطائع وشرف الدولة سنة (٣٧٧هـ) وشرف الدولة البويهى يبنى في دار السلطنة ببغداد مرصدًا لرصد الكواكب السبعة سنة (٣٧٨هـ) ونشوب فتنة أثارها أبو الحسن بن المعلم رئيس الشيعة ببغداد سنة (٣٧٩هـ) وتفاقم خطر العيارين في بغداد، وقيام فتنة بينهم وبين أهلها سنة (٣٨٠هـ) و خلع الخليفة العباسي الطائع لله واستخلاف القادر بالله سنة (٣٨١هـ) و أبو نصر سابور بن أردشير يبنى في بغداد دارًا للعلم سنة (٣٨٣هـ) والأسطول الفاطمي يغزو السواحل البيزنطية سنة (٣٨٦هـ) والأسطول الفاطمي يغزو السواحل البيزنطية سنة (٣٨٦هـ) و الحاكم بأمر الله يتولى الخلافة الفاطمية سنة (٣٨٦هـ) و الشيعة في بغداد يحتفلون بيوم الغدير وحصول فتنة مع أهل السنة سنة (٣٨٩هـ) و قيام الدولة الغزنوية وزوال السامانية سنة (٣٨٩هـ) و ظهور عالم البصريات الحسن بن الهيثم سنة (٣٩١هـ) و فتنة بين الأتراك ومعهم أهل السنة وبين أهل الكرخ الشيعة سنة (٣٩١هـ) والبنجاب بالهند يفتحها محمود الغزنوي ويضمها إلى ملكه بعد سبعة عشر هجومًا سنة (٣٩١هـ) ومبايعة القادر بالله لولده بالعهد سنة (٣٩١هـ) و غزو المسلمين بيرة ثم سايرنو في إيطاليا، وتمكن النصارى بعد ذلك من فك الحصار سنة (٣٩٢هـ) ونهاية الدولة الصفارية سنة (٣٩٣هـ) و نهاية الدولة الحمدانية في الموصل وحلب سنة (٣٩٣هـ) و الفاطميون ينشئون دار الحكمة بمصر سنة (٣٩٥هـ) وتأسيس دولة بني حماد بالمغرب الأوسط سنة (٣٩٥هـ) و ظهور مذهب الدرور نسبة إلى محمد بن إسماعيل الدرزي وانتشاره في الشام ولبنان سنة (٣٩٦هـ) وغلاء ومجاعة في العراق وشغب بين الجند وفتن سنة (٣٩٧هـ) و فتنة في بغداد بين السنة والشيعة سنة (٣٩٨هـ) و غلاء ووباء في مصر بسبب انخفاض ماء النيل ثلاث سنوات سنة (٣٩٨هـ) و محمود بن سبكتكين يقضي على الدولة الإسماعيلية سنة (٣٩٨هـ) والحاكم بأمر الله يهدم الكنائس والبيع، ثم يعود فيسمح ببنائها مرة أخرى سنة (٣٩٨هـ) والفاطميون يستولون على حلب، ويُنهون حكم الدولة الحمدانية سنة (٣٩٩هـ) و الفاطميون يستولون على حلب، ويُنهون حكم الدولة الحمدانية سنة (٣٩٩هـ) و سقوط الدولة العامرية بالأندلس سنة (٣٩٩هـ) و الخليفة العباسي القادر بالله يطعن في نسب العبيديين الفاطميين سنة (٤٠٢هـ) و وفاة بهاء الدولة بن بويه وقيام ولده سلطان الدولة بعده سنة (٤٠٣هـ) و وفاة أبي القاسم الزهراوي الطبيب العربي سنة (٤٠٣هـ) و قيام دول الطوائف بالأندلس و تقسيم بلاد الأندلس إلى إقطاعات سنة (٤٠٤هـ) و فتح كشمير ودخول الإسلام إليها سنة (٤٠٧هـ) و فتح محمود بن سبكتكين خوارزم سنة (٤٠٧هـ) و قيام فتنة بين السنة والشيعة سنة (٤٠٧هـ) وغلاء مفرط في العراق حتى أكل الناس الكلاب والحمير سنة (٤١١هـ) و اغتيال الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، واختفاء جثته سنة (٤١١هـ) وباطني يطعن الحجر الأسود برمح ثلاث ضربات سنة (٤١٣هـ) و وفاة شرف الدولة بن بويه ونهب بغداد سنة (٤١٦هـ) و وفاة المجاهد الكبير محمود بن سبكتكين، وعهد الأمر بعده إلى ولده مسعود سنة (٤٢١هـ) و فتح رودس على يد الفاطميين سنة (٤٢٢هـ) و وفاة الخليفة العباسي القادر بالله سنة (٤٢٢هـ) و طاعون

جارف امتد من الهند إلى بلاد العجم والعراق سنة (٤٢٣هـ) و السلاجقة يعلنون ولاءهم للخليفة العباسي سنة (٤٢٦هـ) و وفاة الخليفة الفاطمي الظاهر لدين الله سنة (٤٢٧هـ).^١

المبحث الثاني: الإمام " القُدوري " رحمه الله تعالى و شيوخه و تلاميذه:

المطلب الأول: الإمام " القُدوري " رحمه الله تعالى:

هو أبو الحسين^٢ أحمد بن محمد^٣ بن أحمد بن جعفر بن حمدان القُدوري البغدادي صاحب المختصر المعروف بالكتاب والذي اعتمد أساسا لاختبار المتقدمين لشغل وظائف القضاء بالحلول محل كتاب الجامع الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني في ذلك. وقد أجمعت كافة المصادر المترجمة له أن مولده كان سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٣م. كما اجتمعت المصادر أيضاً على أنه توفي يوم الأحد الخامس من رجب سنة ٤٢٨هـ ٦، ٢٤ من أبريل سنة ١٠٣٧م، وله ست وستون سنة. ودفن من يومه في داره بدرج أبي حُلف، ثم نقل إلى تربة في شارع المنصور ودفن هناك بجانب أبي بكر الخوارزمي الفقيه الحنفي^٤.

والقُدوري نسبة إلى (قدور) وقد اختلف في المعنى الذي ترجع إليه هذه الكلمة، فقبل بأن (قدور) قرية قريبة من بغداد. ورجح السيوطي والسمعاني رجوعه إلى بيع القدور وصنعها بما يدل على اشتغاله أو اشتغال أحد آبائه بهذه المهنة. ومهما يكن من أمر، فإنه قد تميز بهذه النسبة عن غيره. أما النسبة الأخرى وهي البغدادي أو الحنفي، فتتضح دلالتها في انتسابه إلى بغداد موطناً لإقامته، وللمذهب الحنفي، فقد كان أحد أئمة هذا المذهب الذين انتصروا له ودافعوا عنه، وأسهم في ذلك بنصيب كبير حتى آلت إليه رئاسة هذا المذهب في زمانه وقد ولد الإمام القُدوري في بيت علم، فقد كان أبوه عالماً ومحدثاً، وكانت بغداد تموج آنذاك بحركة علمية نشطة،

١ عبد القادر بن محمد القرشي، الجواهر المضية في طبقات الحنفية (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ٣: ٢٩-٣٠.

٢ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)، ١٣٢.

٣ جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ٢: ٢٤٥.

٤ أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ٤: ٣٧٧؛ عبد الكريم بن محمد السمعاني، الأنساب (بيروت:

دار الكتب العلمية، د.ت)، ١٠: ٧٦؛ جمال الدين ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ١٥: ٢٥٧؛

شمس الدين ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس (بيروت: دار صادر، ١٩٧٨)، ١: ٧٨-٧٩؛ عز الدين ابن الأثير، الكامل في التاريخ،

تحقيق عمر عبد السلام تدمري (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٧)، ٩: ٤٥٦؛ ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة (بيروت: دار الكتب

العلمية)، ٣: ١٩-٢٠.

تمثلت مظاهرها في انتشار المدارس والمكتبات^١. الحافلة، وانعقاد الحلقات العلمية والمناظرات وكثرة الأعلام وأئمة الفكر، ومشاهير العلماء والفقهاء من مثل: أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، وإمام الحرمين الجويني، والماوردي، وابن الصباغ، وأبو زيد الدبوسي، والخطيب البغدادي، وأبو إسحاق الأسفراييني وغيرهم^٢.

ولا شك أن القدوري تأثر بهذه البيئة العلمية التي نبغ فيها هؤلاء الأعلام، فحفظ القرآن الكريم، وكان مديماً لتلاوته، وتعلم العلوم الشرعية المختلفة من تفسير، وحديث، وكلام، وفقه، وأصول فقه، وغيرها، حتى بلغ أشده واستوى توقد ذهن ونضجا، ومن ثم بدأ يعلو نجمه ويذيع صيته حتى انتهت إليه رئاسة المذهب الحنفي ببغداد، العاصمة العلمية والثقافية للدولة العباسية آنذاك، وأقر له بذلك علماء زمانه وفضلاء عصره^٣. وقال خطيب البغدادي نسبه: أحمد بن محمد بن جعفر بن حمدان ابن أبي بكر البغدادي الحنفي المعروف بالقدوري كنيته: يكنى بأبي الحسين وقيل أبي الحسن. لقبه: لقب بالقدوري وذلك نسبة إلى القدور والتي هي جمع قدر وقيل نسبة إلى قرية من قرى بغداد يقال لها "قدورة" مولده: ولد ببغداد سنة ٣٦٢هـ^٤.

المطلب الثاني: شيوخه و تلاميذه:

الفرع الأول: شيوخه :

أخذ القدوري العلم عن عدد من الشيوخ منهم: عبيد الله بن محمد الحوشي: هو عبيد الله بن محمد بن احمد بن محمد بن أحوي بن العوام بن حوشب أبو الحسن الشيباني المعروف بالح وشبي من أهل بغداد كان ثقة مستوراً وثبتاً أميناً. ولد سنة ٢٩٤هـ سمع عبد الله بن إسحاق المدائني (٣١١هـ) كان ثقة محدثاً، روى عن عثمان بن أبي شيبة، وقد وثقه الدارقطني^٥. وإسحاق ابن الخليل

١ أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ٢٠٠١)، ٣٥٨.

٢ إسماعيل بن علي أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر (القاهرة: المطبعة الحسينية المصرية، ١٩٠٧)، ٢/١٦١.

٣ عماد الدين إسماعيل بن علي أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر (القاهرة: المطبعة الحسينية المصرية، ١٩٠٧)، ٢/١٦١.

٤ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١٠: ٦٠.

٥ عبد الحي بن أحمد ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (بيروت: دار ابن كثير، د.ت)، ٢: ٢٦٢؛ شمس الدين الذهبي، سير

أعلام النبلاء (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٢)، ٤: ١٤.

الجلال بالجلاب (٣١٤هـ) سمع عن عبد الأعلى بن حماد النرسي وأبو بكر عثمان بن أبي شيبة، وروى عنه عبد العزيز بن جعفر الخرقى وآخرون^١. والحسين بن محمد بن عفير الحسين الأنصاري، ٣١٥هـ^٢. وأحمد بن عبد الله الدقاق الدقاق، ٣١٣هـ^٣.

وأبي بكر السجستاني^٤. محمد بن يحيى الجرجاني: محمد بن يحيى بن مهدي أبو عبد الله الجرجاني الفقيه، أحد الأعلام الكبار عده صاحب الهداية الفرغاني، ٥٩٣هـ^٥. من أصحاب التخريج من العباد الزهاد حدث عن الكثير وكان مناظراً لأبي بكر الرازي (الخصاص كان عابداً زاهداً، تلميذ أبي الحسن الكرخي، وله مصنفات متعددة منها أحكام القرآن وشرح مختصر الكرخي وشرح مختصر الطحاوي وشرح الأسماء الحسنی)^٦.

سكن بغداد وأصابه الفالج في آخر عمره توفي بها سنة ٣٩٨هـ وقيل ٣٩٧هـ ودفن إلى جانب قبر أبي حنيفة رحمهما الله تعالى. محمد بن سويد المؤدب: محمد بن علي بن الحسن بن إبراهيم بن سويد بن مالك بن معاوية بن الحمشاش أبو بكر العنبري، حدث عنه محمد بن محمد الباغددي، و أحمد بن سهل الأشناني، و أبي القاسم البغوي، وأبي عروبة الحراني و غيرهم، سافر لكثير من البلدان و كتب عن الغرباء، ثقة صدوق، توفي سنة ٣٨١هـ. أبو الحسن الكرخي: عبيد الله بن الحسين أبو الحسن الكرخي نسبة إلى كرخ قرية بنواحي العراق، ولد سنة ٢٦٠هـ، كان له طبقة عالية، يعد من المجتهدين في المسائل وقد انتهت إليه رئاسة الحنفية، سكن بغداد و درس بها فقه أبي حنيفة، من مؤلفاته (المختصر)، (شرح الجامع الكبير والصغير) أصابه الفالج في آخر عمره توفي سنة ٣٤٠هـ وقد بلغ من العمر ثمانون سنة، دفن في درب أبي زيد على نهر الواسطين^٧.

١ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٦: ٣٨٨-٨٩.

٢ علي بن عمر الدارقطني، سنن الدارقطني، تحقيق شعيب الأرنؤوط (بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٤)، ٨: ٩٥-٩٦؛ أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ٨: ٩٥-٩٦.

٣ عبد الحي بن أحمد ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (بيروت: دار ابن كثير، د.ت)، ٤: ٦٤-٦٥.

٤ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٣: ٧١.

٥ اللكنوي، الرفع والتكميل، ٤٣-١٤٢.

٦ المرجع نفسه ١٤٧.

٧ المرجع نفسه ١٤٩.

الفرع الثاني: المشاهير من الشيوخ:

أبو الحسين عبيد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحوى بن العوام بن حوشب الشيباني المعروف بالحوشي (٢٩٤ - ٣٧٥هـ) وسمع من عبد الله بن إسحاق المدائني، وإسحاق بن الخليل الجلاب، والحسين بن محمد بن عفير، وأحمد بن عبد الله بن سابور الدقاق، وأبي بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني حدث عنه: البرقاني، وأبو الحسن محمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر، والقاضيان أبو العلاء الواسطي، وأبو القاسم التنوخي. وكان ثقة، قال محمد بن أبي الفوارس: كان الحوشي ثبًا مستورًا. وسئل البرقاني عن الحوشي، فقال: ثقة^١. و أبو بكر محمد بن علي بن الحسن بن إبراهيم بن سويد بن مالك بن معاوية بن الحشماش العبدي المكتب (ت ٣٨١هـ).

حدث عن محمد بن محمد بن محمد الباغددي، وأحمد بن سهل الأشناني، و أبي القاسم البغوي، و عبد الله بن أبي داود، و أبي عروبة الحراني، وأبي جابر زيد بن عبد العزيز الموصللي، و أحمد بن يعقوب بن سراج النصيبي، و محمد بن حصن الألوسي، و محمد ابن أحمد الرسعني، و عبد الله بن أبي سفيان الموصللي، و غيرهم. و كان قد سافر كثيرًا وكتب عن الغرباء.

حدث عنه: أبو بكر البرقاني، و محمد بن علي بن مخلد، والقاضي أبو القاسم التنوخي، و أبو القاسم الأزهري. سئل أبو بكر البرقاني عنه فقال: ثقة. و سئل عنه الأزهري فقال: صدوق وقد تكلموا فيه بسبب روايته عن الأشناني وكان مستأصلاً في الحديث. و ركن الإسلام أبو عبد الله محمد بن يحيى بن مهدي الجرجاني (ت ٣٩٨هـ). أحد الأعلام، تفقه على أبي بكر الرازي. و تفقه عليه أبو الحسين القدوري، وأحمد بن محمد الناطفي، وكان يدرس بالمسجد الذي بقطيعة الربيع، وحصل له مرض الفالج في آخر عمره. مات سنة (٣٩٨ هـ) في يوم الأربعاء لعشر بقين من رجب، ودفن إلى جانب قبر أبي حنيفة. روى عنه: أبو سعد إسماعيل بن علي السمان الرازي في معجم شيوخه، وأبو نصر الشيرازي في فوائده^٢.

المطلب الثالث: تلاميذه:

١- الخطيب البغدادي: أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي أبو بكر الخطيب البغدادي و سمي بالخطيب لأنه كان يخطب بدرب ريحان بالعراق وهو من الحفاظ ومهرة الحديث و هو من كبار الفقهاء، ولد سنة (٣٩١هـ)^٣. ونشأ ببغداد، و كانت وفاته يوم الاثنين ضحى من ذي الحجة سنة ٤٦٣ هـ و له من العمر اثنان و سبعون سنة و دفن ببغداد بلدان لطلب الحديث و العلم، وكان

١ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٠: ٣٦٢؛ ١٠: ٣٦١.

٢ المرجع نفسه ١٠: ٣٦٦.

٣ إسماعيل بن عمر ابن كثير، البداية والنهاية (بيروت: دار الفكر، د.ت)، ١١: ٢٢٤-٢٥.

حافظا متقنا، قال عنه ابن السمعاني^١. (ما أخرجت بغداد بعد الدار قطني (أحفظ من الخطيب) من مصنفاته: تاريخ بغداد، الكفاية في علم الرواية، الفقيه والمتفقه، الجامع لأدب الشيخ والسماع، شرف أصحاب الحديث، المتفق والمفتق، السابق واللاحق، المتشابه في الرسم رواية الآباء عن الأبناء، اقتضاء العلم للعمل وغيرها^٢.

٢- القاضي أبو عبد الله الدامغاني: محمد بن علي بن الحسين بن عبد الملك بن عبد الوهاب بن حمويه الدامغاني الكبير وكان يلقب بقاضي القضاة، ولد ببغداد سنة ٤١٨هـ و قيل ٣٠٨ هـ و هو من الفقهاء البارعين، و القضاة الأمناء الفضلاء، وقد باشر القضاء ٣٠ سنة في أحسن سيرة، من مصنفاته: شرح مختصر الحاكم في علم الحديث، توفي سنة ٤٧٨هـ رحمه الله^٣.

٣- أبو نصر الأقطع، أحمد بن محمد بن محمد المعروف بالأقطع وسبب تسميته بذلك ؛ لأن يده قطعت في حرب بين المسلمين والتار، وقيل انه اتهم في سرقة فقطعت يده اليسرى، سكن بغداد ودرس الفقه على مذهب أبي حنيفة على يد شيخه القدوري حتى برع فيه. له كتاب "شرح مختصر القدوري" في علم الفقه، توفي سنة ٤٧٤هـ^٤.

٤- عبد الرحمن بن محمد السرخسي من طبقة أبي عبد الله الدامغاني ولي قضاء البصرة و كان يداوم الصوم، و عُرف بالزهد وكسر النفس، من مصنفاته: تكملة التجريد، مختصر^٥.

٥- أبو الحارث السرخسي: محمد بن أبي الفضل محمد السرخسي أبو الحارث، و هو أيضا من طبقة الدامغاني.

٦- المفضل التنوخي المفضل بن مسعود بن محمد بن يحيى بن أبي الفرج التنوخي الفقيه، النحوي القاضي، مولده بعد الستين و ثلاثمائة تفقه على يد الصيمري وغيره، سمع ببغداد و دمشق من مصنفاته: (أخبار النحويين، التنبيه)، وقد رد فيه على الشافعي ذكر ما خالف فيه من النصوص من القرآن و الحديث له: (رسالة في وجوب غسل الرجلين و البيان من الفصل في الأشربة والحلال والحرام، توفي سنة ٤٤٢هـ وقيل ٤٤٣هـ^٦.

١ اللكنوي، الفوائد البهية، ١٠٨-١٠٩.

٢ إسماعيل بن عمر ابن كثير، طبقات الشافعية، تحقيق عبد الحفيظ منصور (بيروت: دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٤)، ٢: ٦١٩.

٣ ابن كثير، البداية والنهاية، ١١: ٣١٦.

٤ عبد القادر بن محمد القرشي، الجواهر المضية في طبقات الحنفية (حيدر آباد الدكن: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، د.ت)، ١: ١١٩.

٥ محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (بيروت: دار الفكر، د.ت)، ٤٠.

٦ القرشي، الجواهر المضية، ١: ٣٠٨.

٧- عبد الواحد بن علي بن برهان الدين أبو القاسم العكبري (نسبه إلى عاهر بضم العين وسكون الكاف وفتح الباء، بلدة على دجلة فوق بغداد بعشرة فراسخ من الشرق، الفقيه، النحوي، المتكلم، كان في أول زمانه منجماً ثم صار نحويًا، وكان شافعيًا ثم تحول حنفيًا توفي سنة ٤٥٠هـ^١.

المبحث الثالث: حياته العلمية والحالة العلمية في عصره ومكانته بين (الفقهاء):

المطلب الأول: حياته العلمية:

الفرع الأول: نشأته في بيت علم:

نشأ القدوري في بيت علم، كان والده عالماً ومحدثاً، وحفظ القرآن الكريم وكان مداوماً على تلاوته، شغوفاً بطلب العلم، فتعلم العلوم الشرعية من تفسير وحديث و أصول وفقه و قد كان هذا جلياً في كتابه حيث فسر الآيات التي يستدل بها على مذهبه وكان ملماً بعلم الحديث الشريف رواية و دراية من حيث استدلاله بالأحاديث و رده على الأحاديث الضعيفة و كان فقيهاً و يظهر ذلك من خلال تناوله للمسائل الفقهية وطريقة عرضه لها بالأدلة و المناقشة، و أما بالنسبة لأصول الفقه فقد كان أصولياً مناظراً مجادلاً بالحجة. وكان حافظاً وصدوقاً، جرى اللسان، حسن العبارة في النظر، و قد ذاع صيته و اشتهر اسمه وعظم قدره عند الحنفية و ارتفع جاهه حتى انتهت إليه رئاسة المذهب الحنفي ببغداد تلك المدينة المكتظة بالعلماء آنذاك فولده العالم المحدث محمد بن جعفر بن حمدان بن أبي بكر روى عنه أبو تمام أحمد الواسطي^٢. وله ابن اسمه محمد سمع الحديث من أبي الحسن بن أحمد بن شاذان^٣ والقاضي أبي القاسم التنوخي^٤ و لم يعلمه أباه الفقه و كان يقول: دعوه يهيش لروحه فمات شاباً قبل أوان الرواية ٤٤٠هـ^٥.

١ ابن كثير، البداية والنهاية، ١١: ٩٢.

٢ صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق إحسان عباس (بيروت: دار إحياء التراث، د.ت)، ٢١: ٤٣٠.

٣ ابن رزقويه، أمالي ابن رزقويه (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)؛ محمد بن أحمد الأزهرى، تهذيب اللغة (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)؛ أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ٧: ٢٧٩.

٤ الصيمري، أخبار أبي حنيفة وأصحابه (بيروت: عالم الكتب، د.ت)، ١١: ٢٢٧؛ عبد القادر بن محمد القرشي، الجواهر المضية في طبقات الحنفية (حيدر آباد الدكن: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، د.ت)، ١: ٣٧٨؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس (بيروت: دار صادر، ١٩٧٨)، ٣: ٣٢٠.

٥ القرشي، الجواهر المضية، ٢٣٠٢.

الفرع الثاني: الحالة العلمية في عصره:

لقد عاش القدوري في حقبة زمنية تمتاز بوجود كثير من العلماء والفقهاء وهي في أواخر القرن الرابع الهجري و أوائل القرن الخامس الهجري، ولا أبلغ إن قلت أنه العصر الذهبي للعلم حيث نشطت فيه الحركة العلمية في جميع المجالات ومختلف العلوم، وقد عاصر القدوري علماء أجلاء من فقهاء ومحدثين وغيرهم، وقد ذكرت لكل مذهب من المذاهب الفقهية ثلاث علماء خشية إثقال البحث بذلك وقد تأثر القدوري بهذه البيئة العلمية من حيث انعقاد الحلقات العلمية وكثرة المناظرات، وكثيراً ما يناظر القدوري الشيخ أبي حامد الأسفراييني مع كثرة إجلاله له وكان يفضل على الشافعي رحمه الله تعالى^١.

المطلب الثاني: ثناء العلماء على الإمام القدوري و مكانته بين فقهاء المذهب:

الفرع الأول: ثناء العلماء على الإمام القدوري:

لقد أثنى على القدوري كثير من العلماء لما يتميز به من علم غزير وفقه واسع وخلق فاض رفيع. قال عنه الخطيب: كتبت عنه صدوقاً^٢. وقال عنه اللكنوي الهندي: كان فقيهاً صدوقاً انتهت إليه رئاسة الحنفية بالعراق وعز قدره عندهم وكان حسن العبارة، مديماً لتلاوة القرآن الكريم، ووصفه الذهبي بشيخ الحنفية. أجمع كل من ترجموه على أنه كان فقيهاً ماهراً ذكياً، له اشتغال بالحديث، وصارت إليه رئاسة الأحناف في بغداد، وأنه كان سنياً صالحاً يقول عنه الخطيب البغدادي تلميذه وعنه نقل كل من ترجموه: (كتبت عنه وكان صدوقاً، وكان ممن أنجب في الفقه لذكائه، وانتهت إليه بالعراق رئاسة أصحاب أبي حنيفة، وعظم عندهم قدره، و ارتفع جاهه)^٣.

الفرع الثاني: مكانته بين فقهاء المذهب:

قسم ابن كمال باشا (ت ٩٤٠هـ) فقهاء الأحناف إلى ست طبقات، هي:

طبقة المجتهدين في الشرع: كالأئمة الأربعة وطبقة المجتهدين في المذهب: كأبي يوسف، و محمد وطبقة المجتهدين في المسائل التي لا رواية فيها عن صاحب المذهب: كالخفاف، و أبي جعفر الطحاوي، وأبي الحسن الكرخي، و شمس الأئمة الحلواني، وشمس الأئمة السرخسي، و فخر الإسلام البزدوي، و فخر الإسلام قاضيخان وطبقة اصحاب التخريج من المقلدين: كالرازي وطبقة أصحاب الترجيح من المقلدين: كأبي الحسين القدوري، و صاحب العناية و شأنهم تفضيل بعض الروايات على بعض آخر بقولهم: هذا أدنى، وهذا أصح رواية، وهذا أوضح، و هذا أوفق للقياس، و هذا أرفق للناس طبقة المقلدين القادرين على التمييز بين القولين:

١ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٧: ٢٧٩.

٢ المرجع نفسه، ٣٧٧.

٣ أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان (بيروت: دار البشائر الإسلامية، د.ت)، ٢: ١٩.

الأقوى و القوي و الضعيف، و ظاهر الرواية و ظاهر المذهب و طبقة المقلدين الذين لا يفرقون بين الغث و السمين و لا يميزون الشمال عن اليمين^١.

فالقُدوري عند الأحناف في الطبقة الخامسة من فقهاء المذهب أصحاب الترجيح من المقلدين.

المطلب الثالث: أقرانه من العلماء:

الفرع الأول: فمن أبرز العلماء الذين عاصرهم القُدوري في المذهب الحنفي:

١- أبو الليث السمرقندي: نصر بن أحمد بن محمد بن إبراهيم إمام الهدى له عدة مصنفات منها تفسير القرآن و النوازل و العيون و الفتاوى و بستان العارفين و خزنة الفقه و غيرها) توفي سنة ٣٩٣هـ.

٢- أبو زيد الدبوسي: عبد الله بن عمر بن عيسى. و الدبوسي نسبة إلى قرية في بخارى، و يعتبر -أول من وضع علم الخلاف و أبرزه إلى الوجود من مصنفاته " الأسرار و تقويم الأدلة توفي ببخارى سنة ٤٣٦هـ^٢.

٣- الحلواني: عبد العزيز بن أحمد بن نصر بن صالح، شمس الأئمة، الحلواني البخاري، نسبة إلى عمل الحلوى و كان عالماً بكل أنواع العلوم معظماً للحديث و أهل الحديث، توفي سنة (٤٥٢هـ، وقيل ٤٥٦هـ)^٤.

الفرع الثاني: و من العلماء الذين عاصرهم في المذهب المالكي:

١- الإمام عبد الله بن أبي زيد القيرواني أبو محمد كان إمام المالكية في وقته، جامع مذهب الإمام مالك و شارح أقواله و كان يتميز بغزارة العلم و كثرة الحفظ و الرواية و الصلاح التام و الورع و الفقه له عدة مصنفات منها الإقتداء بأهل المدينة، الرسالة المناسك،

١ محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك (بيروت: دار التراث، ١٩٨٥)، ٤٥.

٢ اللكنوي، الفوائد البهية، ٢٢٠.

٣ ابن كثير، البداية و النهاية، ١: ٤٦٢؛ اللكنوي، الفوائد البهية، ١٠٩.

٤ المرجع نفسه، ٩٥-٩٦.

كشف التلبس الذهب عن مذهب مالك وغيرها توفي سنة ٣٨٦هـ^١.

٢- عبد الوهاب البغدادي: عبد الوهاب بن نضر أبو محمد البغدادي المالكي القاضي أحد أئمة: (النصرة المذهب و كان حسن النظر، جيد العبارة، ثقة، حجة، له عدة مصنفات منها لمذهب إمام الهجرة) و التلقين والإفادة و عيون المسائل و الفروق، توفي بمصر سنة ٤٢٢هـ.

٣- أبو الوليد الباجي: سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب الأندلسي الباجي الذهبي، العالم، الفذ، الأصولي، المناظر ولد سنة ٤٠٣ هـ، له عدة مصنفات منها: الحد ود، الإشارة المنهاج في ترتيب الحجاج، إحكام الفصول و هو في علم أصول الفقه، و له المعالي، و المنتقى في شرح الموطأ في علم الحديث، و له المذهب في اختصار المدونة في علم الفقه سماه (مسائل الخلاف)^٢.

الفرع الثالث: ومن العلماء الذين عاصروهم في المذهب الشافعي:

١- الشيخ أبو حامد الأسفراييني: أحمد بن محمد بن أحمد بن طاهر الاسفراييني الإمام شيخ الشافعية بالعراق اشتغل بالعلم وكان إماماً، فقيهاً، جليلاً، بارعاً، قال عنه الخطيب حضرت مجلسه و قد حضره سبعمائة متفقه و كان الناس يقولون: لو رآه الشافعي لفرح به كثيراً ما كان يناظر القدوري مع كثرة إجلاله له و تعظيمه إياه و كان يفضل على الشافعي قال عنه: هو أفقه وأنظر من الشافعي^٣.

٢- الشيخ أبو الطيب الطبري: طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر الفقيه شيخ الشافعية ولد سن ٣٤٨هـ كان ثقة، ديناً ورعاً، عالماً بأصول الفقه وفروعه، وقد صنف في الأصول و الجدل و الخلاف كتباً كثيرة، من مصنفاته: (شرح مختصر المزني، و التعليق في عشر مجلدات)، وكان يفتي و يشتغل إلى أن مات سنة ٤٥٠هـ وكان عمره مائة سنة وستين و هو صحيح العقل قوي الأعضاء رحمه الله تعالى^٤.

٣- القاضي الماوردي: علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن الماوردي البصري شيخ الشافعية كان حليماً، وقوراً، أديباً، ولي الحكم في بلاد كثيرة و صاحب التصانيف الكثيرة في الأصول و الفروع و التفسير و الأحكام السلطانية و أدب الدنيا و الدين من مصنفاته: (الحاوي) و (الإقناع) في علم الفقه و غيرها توفي سنة ٤٥٠هـ و عمره ثمانين سنة^٥.

١ ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٢١٢: ٤؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ٢٥١-٣٢١:

٢ المرجع نفسه، ١: ١٧٣-٧٣.

٣ ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٩١١: ٤؛ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ١: ٢٢٧.

٤ المرجع نفسه، ١: ٢٢٩.

٥ المرجع نفسه، ١: ٢٢٣.

أبو يعلى الفراء: محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد بن الفراء، إمام الحنابلة، ولد سنة ٣٨٠هـ، وقد درس و أفنى على المذهب الحنبلي سنين إلى أن انتهت إليه رئاسته، من مصنفاته: أحكام القرآن، مسائل الأعيان، عيون المسائل، العدة في أصول الفقه، توفي سنة ٤٥٨هـ وعمره ثمان وسبعين سنة^١.

٤- عبيد الله العكبري: عبيد بن محمد بن حمدان، أبو عبد الله العكبري، المعروف بابن بظه من العلماء البارعين صاحب المصنفات الحافلة في فنون العلوم، وكان أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، توفي سنة ٨٨٦هـ^٢.

الفرع الرابع: ومن الحنابلة:

أولاً: أبو يعلى الفراء الحنبلي (ت ٤٥٨هـ) هو القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد بن الفراء، البغدادي الحنبلي. وُلد سنة ٣٨٠هـ تقريباً ببغداد، ونشأ بها، وتفقه على مذهب الإمام أحمد، حتى صار إمام الحنابلة في عصره، وقاضي القضاة ببغداد. وتوفي سنة ٤٥٨هـ^٣. كان إمام الحنابلة في وقته، وصاحب التصانيف المعتمدة في الفقه وأصوله، وله عناية بالكلام على طريقة أهل السنة عند الحنابلة. قاله الذهبي و قال أيضاً عنه: «الإمام العلامة، شيخ الحنابلة، وصاحب التصانيف»^٤.

ثانياً: عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان، أبو عبد الله بن بطة العكبري الحنبلي (ت ٣٨٧هـ) (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج: ١٦، ص: ٥٢٩) هو أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري الحنبلي، المعروف بابن بطة. وُلد سنة ٣٠٤هـ تقريباً بعكبرا (قرب بغداد)، ونشأ في بيت علم وزهد، ورحل في طلب الحديث، ثم عاد إلى بلده فتصدر للإفتاء والتدريس. وتوفي سنة ٣٨٧هـ (الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج: ١٠، ص: ٣٦٦). كان إماماً في الفقه والحديث والعقيدة، ومن كبار أئمة الحنابلة في القرن الرابع. عُرف بالتمسك بالسنة، وكثرة التصنيف، والرحلة في طلب العلم. قال الذهبي: الإمام، القدوة، الحافظ، شيخ الإسلام^٥.

١ المرجع نفسه ١٢: ٩٤-٩٥.

٢ المرجع نفسه، ١: ٤٩.

٣ ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، ٢: ١٩٣.

٤ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٨: ٨٩.

٥ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٦: ٥٢٩.

الفرع الخامس: ومن الظاهرية:

ابن حزم (ت ٤٥٦ هـ). هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد، القرشي بالولاء، الأندلسي القرطبي، الظاهري. وُلِدَ بقرطبة سنة ٣٨٤ هـ تقريبًا، في بيت وزارة ورياسة، ونشأ في بيئة علم وأدب، ثم تقلّب به الحال بعد الفتن السياسية في الأندلس، فاعتزل السياسة وأقبل على التصنيف والبحث. وتوفي سنة ٤٥٦ هـ بمنى ليشم (قرب ولبة). كان إمامًا حافظًا، واسع الاطلاع، متبحرًا في الفقه والحديث والأنساب والملل والنحل، وهو أبرز من نصر مذهب أهل الظاهر في الأندلس، حتى صار إمامهم ومجدد طريقتهم بعد داود الظاهري. امتاز بمنهجه القائم على التمسك بظاهر النصوص، وإنكار القياس والرأي، والتشديد في الاحتجاج بالنص والإجماع المتيقن. قال الذهبي: كان حافظًا للحديث، بصيرًا بالفقه، واسع العلم، قوي الحجة، له ذكاء مفرط^١.

المبحث الرابع: آثار العلمية للإمام أبي الحسين القدوري و وفاته رحمه الله تعالى:

المطلب الأول: آثار العلمية للإمام أبي الحسين القدوري:

الفرع الأول: التجريد:

يُعَدُّ كتاب التجريد من أجَلِّ مصنفاته وأوسعها، وهو كتابٌ فقهِيٌّ استدلالِيٌّ يعرض مسائل الخلاف داخل المذهب الحنفي وخارجه، مع تحرير الروايات والأدلة والترجيح. التجريد في علم الفقه وهذا الكتاب عظيم الفائدة إذ أنه يعتبر موسوعة في علم الفقه المقارن بين مذهبي الحنفية والشافعية، وقد ذكر فيه المسائل بأدلتها مؤلفه في سبعة أسفار، و شرع في إملائه سنة ٤٠٥ هـ^٢.

يمتاز أسلوب القدوري بالسهولة والبساطة في عرضه للمسألة، وإن كان هناك بعض الأدلة العقلية التي تحتاج إلى فهم واسع، ولا عجب فإن القدوري يمتاز بذكائه المفرط، ويتمتع بملكة فقهية عالية تظهر من خلال مناظرته للمخالفين، وردة على أدلتهم بالحجج والبراهين، ثم إن الكتاب و إن كان يتناول المقارنة بين المذهبين إلا أنه استخدم أسلوب الجدال والحوار، و الذي يدل أيضا على

١ المرجع نفسه، ١٨: ١٨٦.

٢ حاجي خليفة، كشف الظنون، ١/٣٤٥. الذهبي، السير، ١٧/٢٤٧.

علمه الجرم بأصول الفقه، فيقول مثلا (هذا قياس فاسد الاعتبار، هذا عام، هذا موضع استحسان) وغيرها من الأمثلة. القدوري، التجريد للقدوري: الموسوعة الفقهية المقارنة، الطبعة الثانية، ١٤٢٧ هـ/٢٠٠٦ م^١.

١. **منهج المؤلف في عرض المادة العلمية:** يبدأ القدوري في كل مسألة من المسائل التي يتناولها بذكر عنوان المسألة ثم يذكر رأي أبي حنيفة ومن تابعه من تلاميذه، ثم يذكر رأي الشافعي ومن تابعه من أصحاب أبي حنيفة ثم يذكر أدلة مذهبه، ثم أدلة الشافعي.

٢. **طريقة عرضه للأدلة:** يذكر أولا الأدلة من الكتاب ثم الأدلة من السنة النبوية ثم الأدلة العقلية مبتدئا بالعلة ثم الحكم ثم الأصل، وحين يعرض أدلة الشافعية يجب عن كل دليل بقوله: (قالوا) فيذكر و الدليل ويرد عليه بقوله: (قلنا)، وقد يفرض أحيانا أدلة قد يستدل بها المخالفين ثم يجب عليها و يذكر في بعض المسائل الاعتراضات التي قد ترد على دليله، ويجب عليها بقوة دليل، و رصانة عبارة ووضوح معنى، ولا أدل على ذلك من قول القدوري نفسه في مقدمة كتابه: قد أفردنا في هذا الكتاب ما خالف فيه الشافعي بإيجاز الألفاظ واستيفاء معانيه وأوردنا الترجيح ليشترك المبتدئ والمتوسط في فهمه، والانتفاع به^٢.

٣. أهمية كتاب التجريد

تتجلى أهمية الكتاب في النقاط التالية:

أولا: إن هذا الكتاب كما ذكرت سابقا موسوعة فقهية مقارنة بين مذهبين عظيمين و هما الحنفية و الشافعية.

ثانيا: إن هذا الكتاب يحتوي على الجدل و المناظرة بالحجج و البراهين.

ثالثا: ذكر آراء المذهبين في جميع الأبواب الفقهية.

رابعا: كثرة الأدلة في جميع المسائل الفقهية لاسيما أدلة مذهب المؤلف.

خامسا: إشارة المؤلف و تصريحه بالقواعد الأصولية المعتمدة في مذهبه.

سادسا: كثرة التطبيقات الفقهية فيما يتعلق بقوادح العلة عموما، ولا أبالغ في ظني إن قلت أنه شمل التطبيقات الفقهية في أغلب القوادح.

١ أحمد بن محمد القدوري، مختصر القدوري، تحقيق كامل محمد محمد عويضة (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦).

٢ القدوري، مختصر القدوري.

٤. الآداب التي ينبغي أن يلتزم بها المتناظران: لقد عرض القدوري مادته العلمية في كتابه وهي المسائل الفقهية عن طريق الحوار والمناظرة، ولذا فإنه يحسن بي أن أورد بعض الآداب التي ينبغي على المتناظرين الالتزام بها وهي:

أولاً: أن يحترز المتناظران عن إطالة الكلام في غير فائدة، وعن اختصاره اختصاراً يخل بالمفهوم.

ثانياً: أن يجتنباً غرابة الألفاظ وإجمالها.

ثالثاً: أن يكون كلامهما ملائماً للموضوع وليس فيه خروج مما هو بصدده.

رابعاً: أن يقصد كل منهما ظهور الحق.

خامساً: أن لا يستهزئ أحدهما بالآخر ويسخر منه.

سادساً: ألا يتعرض أحدهما لكلام الآخر حتى يفهم مراده من كلامه^١.

والحق إن القدوري كان ملتزماً بتلك الآداب في كتابه، فكان كلامه واضحاً سلساً، متجنباً للألفاظ الغريبة والمعقدة^٢.

الفرع الثاني: «المختصر» (المعروف بمختصر القدوري):

كتاب المختصر في علم الفقه و هذا الكتاب عظيم شأنه، جليل قدره، يُعرف بالكتاب المبارك في كتب الحنفية وذلك لاستفاضة ذكره عندهم، ولكثرة من تفقه و اعتمد عليه و قال عنه صاحب كشف الظنون: وهو متن متين معتبر متداول بين الأئمة و الأعيان، وشهرته نغني عن البيان^٣. وقيل: إن القدوري لما صنّف هذا الكتاب حمّله بنفسه إلى بيت الله الحرام وعلقه من أستاره، وسأل الله تعالى أن يبارك له فيه، فاستجيب له وجعله مباركاً لذلك^٤. و قال عنه ابن السمعاني: صنّف في مذهبه المختصر المشهور، فنفع به خلقاً لا يحصون وهذا الكتاب مطبوع متداول بين أيدي الطلبة وقد اهتم عدد كبير من الفقهاء بهذا الكتاب فمنهم من قام بشرحه ومنهم من اختصره، ومنهم من نظمه، و منهم من حَقَّقه^٥.

١ علي بن سلطان محمد الهروي القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (بيروت: دار الفكر، د.ت)، ٢: ١٦٣٣.

٢ زين الدين قاسم بن قطلوبغا، تاج التراجم، تحقيق محمد خير رمضان يوسف (دمشق: دار القلم، ٢٠٠٢).

٣ علي بن سلطان محمد الهروي القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (بيروت: دار الفكر، د.ت)، ٢: ١٦٣٣.

٤ محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (بيروت: دار الفكر، ٢٠١٩)، ٢: ٩١.

٥ القرشي، الجواهر المضيئة، ١: ٢٣٥؛ اللكنوي، الفوائد البهية، ١٦٣.

أولاً: فأهم الشروح عليه:

- ١- (الجوهرة النيرة) لأبي بكر بن علي الزبيدي.
- ٢- (الهداية) لأبي الحسن المرغيناني الراشداني.
- ٣- تلميذ القدوري أبو نصر الأقطع المتوفى سنة ٤٧٤هـ.
- ٤- (شرح مشكلات القدوري) لأبي بكر البخاري المعروف بجواهر زادة^١.
- ٥- (البيان في شرح المختصر المحمد بن رسول بن يونس).
- ٦- (خلاصة الدلائل و تنقيح المسائل للرازي).
- ٧- (جامع المضمرة والمشكلات) للصوفي، وغيرهم^٢.

ثانياً: وأما من نظمه و حققه:

- ١- وقام بنظمه المفسر محمد العراقي الحنفي الحكيمي الواعظ وقام بتحقيقه عبد الله بن محمد بن رمزي، وكامل محمد عويضة.
- ٢- شرح مختصر الكرخي في علم الفقه^٣.
- ٣- كتاب التقريب في المسائل الخلافية بين أبي حنيفة وأصحابه مجرداً عن الدلائل في مجلد.
- ٤- كتاب التقريب الثاني.

وهو أشهر كتبه وأوسعها انتشاراً، وعليه مدار التدريس في المذهب قروناً طويلة. أهميته العلمية: اشتمل على خلاصة معتمدة لفقه الحنفية في العبادات والمعاملات. امتاز بجودة الترتيب، ودقة العبارة، وخلوه من التطويل. صار عمدةً في التعليم، حتى قيل: من حفظ

^١ القرشي، الجواهر المضيئة، ١: ٢٣٦.

^٢ اللكنوي، الفوائد البهية، ١١٨.

^٣ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، طرح التثريب في شرح التقريب (القاهرة: مطبعة جمعية النشر والتأليف الأزهرية، د.ت)، ١: ٢١٨.

مختصر القدوري صار فقيهاً. وقد اعتنى به الشُّرَّاح شرحاً وتعليقاً، ومن أشهر شروحه: ١. الجوهرة النيرة للعبادي. ٢. اللباب في شرح الكتاب لعبد الغني الغنيمي الميداني^١.

الفرع الثالث: شرح الكرخي:

صنَّف القدوري شرحاً على مختصر الإمام أبي الحسن الكرخي، بيَّن فيه أصول المذهب وقواعده، وهو يدل على تمكنه في أصول الحنفية وتخريج الفروع على القواعد^٢.

الفرع الرابع: التقريب:

كتاب في الفقه أيضاً، ذكره أصحاب الفهارس ضمن مصنفاته، ويُظهر عنايته بالاختصار والتحرير^٣.

الفرع الخامس: مؤلفات أخرى منسوبة إليه:

ذكرت له كتب أخرى في الفقه وأصوله، منها: ١. كتاب في الخلاف. ٢. كتاب في الفرائض. إلا أن كثيراً من هذه المصنفات لم يصل إلينا كاملاً، وإنما عُرفت من خلال كتب التراجم والفهارس^٤.

^١ زين الدين قاسم بن قطلوبغا، تاج التراجم، تحقيق محمد خير رمضان يوسف (دمشق: دار القلم، ١٩٩٢)، ٦٢؛ مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)، ٢: ١٦٣٨؛ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق صلاح الدين المنجد (الكويت: مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٤)، ٣: ١٤٧.

^٢ حاجي خليفة، كشف الظنون، ٢: ١٤٧٠.

^٣ المرجع نفسه، ١: ٤٥٧.

^٤ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٤: ٣٧٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٧: ٢٤٨.

المطلب الثاني: وفاة الإمام أبي الحسين القُدوري (ت ٤٢٨هـ):

توفي الإمام أبو الحسين أحمد بن أبي بكر محمد بن أحمد بن جعفر بن حمدان القُدوري البغدادي الحنفي يوم الأحد الخامس من شهر رجب سنة ٤٢٨هـ، ودُفن من يومه في داره الواقعة بـ«درب أبي خلف» ببغداد^١.

ونقل ابن خلكان أن قبره نُقل بعد ذلك إلى تربة في شارع المنصور، ودُفن هناك بجوار الفقيه أبي بكر الخوارزمي، رحمهما الله تعالى^٢.

وتتفق كتب التراجم الحنفية على تحديد سنة وفاته بسنة ٤٢٨هـ، مع التنصيص على مكان دفنه الأول ببغداد، مما يعزز ثبوت هذا التاريخ واستقراره في المصادر المبكرة^٣.

نتائج البحث:

(١) تعددية محددات الريادة العلمية: خلصت الدراسة إلى أن مكانة الإمام القُدوري (ت ٤٢٨هـ) لم تكن نتاجاً منفرداً لنتاجه التأليفي، بل تشكلت عبر تضافر عوامل سيرة ومنهجية وسياقية متكاملة منحت شخصيته الفقهية أبعاداً رمزية ومؤسسية تتجاوز حدود المتن المكتوب.

(٢) الثقل المرجعي للمنظومة التدريسية والقضائية: أثبت البحث أن "المختصر الفقهي" يستمد فاعليته من كونه جزءاً من منظومة أوسع، تشمل قيادة الإمام للحلقات الدراسية النشطة في بغداد، وممارساته الميدانية في الفتوى والقضاء، مما عزز من حضور المذهب الحنفي وتطبيقاته.

(٣) الأثر السوسيولوجي للشبكات المؤسسية: كشفت الدراسة عن الدور المحوري لشبكات الارتباط بمؤسسات الوقف والتعليم، والتواصل الفعال مع النخب العلمية وطبقات الحكم، في ترسيخ الرصانة الرمزية للإمام القُدوري كمرجعية مؤسسية داخل البنية الاجتماعية لمدينة بغداد.

^١ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٤: ٣٦٩؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٧: ٢٤٦.

^٢ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١: ٧٨.

^٣ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٤: ٣٦٩؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٧: ٢٤٦.

٤) المراجعة النقدية للنماذج التقييمية: أظهرت المقارنة التحليلية ضرورة التمييز المنهجي بين "السرد التمجيدى" اللاحق في كتب الطبقات وبين "القرائن الوثائقية" الملموسة؛ حيث رصدت الدراسة تبايناً بين المصادر التي تميل للتمجيد العاطفي وتلك التي تعتمد التحقيق في الروايات لإثبات المراتب العلمية.

٥) تبني المقاربة التكاملية في التأريخ الفقهي: انتهت الدراسة إلى أن فهم مسار تشكل المرجعية الحنفية في القرن الخامس الهجري يتطلب نموذجاً بحثياً تكاملياً يزاوج بين النقد النصي، والتحقيق التاريخي، والتحليل السوسولوجي للشبكات العلمية والاجتماعية لتقديم قراءة شاملة ومنضبطة.

التوصيات البحثية والمنهجية:

١. إصدار تحقيق نقدي لمختصر القدوري والتجريد: اقتضاء قيام فرق تحقيق علمية بمقارنة نسخ متعددة من المخطوطات المنتشرة في مكتبات بغداد ودمشق والقاهرة وإستانبول ولوير، لإصدار طبعة محققة علمياً، تشمل فهراس مفصلة وشروحاً تفسيرية توضح مواضع الخلاف والتلقي.

٢. فهرسة ومقارنة التراجم: بناء قاعدة بيانات رقمية متكاملة تضم جميع تراجم القدوري في كتب التراجم والطبقات (الخطيب البغدادي، ابن خلكان، السمعاني، وغيرهم)، مع تصنيف درجات الاعتماد، ورسم خطوط السند والاقتباس بين المصادر، ما يسهم في توضيح انتقال المعرفة عبر الأجيال.

٣. تحليل الشبكات العلمية والاجتماعية: توظيف مناهج تحليل الشبكات الاجتماعية لتوضيح علاقات القدوري مع شيوخه وتلاميذه والمؤسسات الوقفية والتعليمية، وربطها بخريطة تاريخية لانتشار المعرفة في بغداد القرن الخامس الهجري باستخدام تقنيات عند الإمكان.

٤. دراسة دور المؤسسات التعليمية والوقفية والقضائية: إجراء بحث ميداني في سجلات الأوقاف والمدارس والمكتبات لتحديد مواقع تدريس القدوري ونشاطاته، وتبيان أثر علاقاته مع مؤسسات الحكم على ترسيخ مكانته الرمزية في المذهب.

٥. مقارنات موازية مع رؤساء مذهبين معاصرين: دراسة مقارنة لتجربة القدوري مع تجارب رؤساء مذهبين آخرين (داخل الحنفية وخارجها)، لبيان آليات الترسيم العلمي المشترك والفروق المنهجية والاجتماعية.

٦. نشر النتائج بلغات متعددة: تقديم ملخصات ومقالات باللغتين العربية والإنجليزية لضمان وصول نتائج البحث إلى جمهور أكاديمي دولي، وتعزيز فرص التعاون متعدد التخصصات.

٧. ورش عمل وعروض مخطوطات رقمية: تنظيم ورش عمل للتحقيق في المخطوطات المتعلقة بالقدوري وعرض رقمي لها لتشجيع التحقق النقدي واكتشاف النسخ المخطوطة المجهولة.

المصادر والمراجع:

١. ابن الجوزي، جمال الدين. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ط: ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ.

٢. ابن خلكان، شمس الدين. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (تحقيق: إحسان عباس)، ط: ١، بيروت: دار صادر، ١٩٧٨م.
٣. ابن كثير، عماد الدين. البداية والنهاية، ط: ١، الكويت: دار الفكر، ١٩٨٦م.
٤. أبو الفداء، عماد الدين. المختصر في أخبار البشر، ط: ١، القاهرة: المطبعة الحسينية، ١٩٠٧م.
٥. البغدادي، الخطيب. تاريخ بغداد (تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا)، ط: ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م.
٦. الثعالبي، محمد بن الحسن. الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، ط: ١، المدينة المنورة: المكتبة العلمية، ١٣٩٦هـ.
٧. الجزري، ابن الأثير. الكامل في التاريخ (تحقيق: عمر عبد السلام تدمري)، ط: ١، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٧م.
٨. حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (د.ت).
٩. الذهبي، شمس الدين. سير أعلام النبلاء، ط: ١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٢م.
١٠. السمعاني، أبو سعد. الأنساب، ط: ١، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٨م.
١١. شلبي، أحمد. تاريخ التربية الإسلامية، ط: ١، القاهرة: النهضة المصرية، ٢٠٠١م.
١٢. الصفدي، صلاح الدين. الوافي بالوفيات، ط: ١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٠م.
١٣. ضيف، شوقي. العصر العباسي الثاني: دراسة سياسية واجتماعية، ط: ١، القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٦م.
١٤. الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الرسل والملوك، ط: ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م.
١٥. القدوري، أحمد بن عبد الله. التجريد (تحقيق: مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية)، ط: ١، القاهرة: دار السلام، ٢٠٠٦م.
١٦. اللكنوي، محمد عبد الحي. الفوائد البهية في تراجم الحنفية، ط: ١، مصر: مطبعة السعادة، ١٣٢٤هـ.
١٧. المسعودي، علي بن الحسين. مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط: ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ.
١٨. مؤنس، حسين. تاريخ الخلفاء العباسيين، ط: ١، بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨٠م.
١٩. النديم، أبو الفرج محمد. الفهرست (تحقيق: أيمن فؤاد سيد)، ط: ١، لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ٢٠١٤م.